المبحث الخامس
غزوة حمراء الأسد [١]

سبب الغزوة:

اختلفوا في سببها، فقال ابن إسحاق ومتابعوه: إنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا (مخيفًا) للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يُوهِنُهم (يضعفهم) عن عدوهم.

وقال موسى بن عقبة ومحمد بن عمر الأسلمي: السبب أن رسول الله ﷺ بلغه أن أبا سفيان وأكثرَ مَنْ معه يريدون أن يرجعوا ليستأصلوا (**استأصله**: قلعه بأصوله) مَنْ بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، فحينئذ حث رسول الله ﷺ الناس على الخروج في طلب العدو. [**سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٣٨**].

ويؤيد هذا ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً أُخْرَى: أَخْبَرَنِي عِكْرِمَةُ، قَالَ: لَـمَّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ عَنْ أَحَدٍ، وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ (تبعد عن المدينة جنوبًا حوالي أربعين ميلًا)، قَالُوا: **لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ [قَتَلْتُمُوهُ]، وَلَا الْكواعبَ** (جمع كاعب، وهي المرأة حين يبدو ثَديها للنُّهود) **أَرْدَفْتُمْ** (أركبتم وراءكم على الإبل والمعنى أسرتم)، **شَرٌّ [وَبِئْسَ] مَا صَنَعْتُمْ [ارْجِعُوا]**، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَنَدَبَ (دعا) النَّاسَ فَانْتَدَبُوا (فخرجوا) حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ أَوْ بِئْرَ أَبِي عُيَيْنَةَ [عِنبَةَ]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا**، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ فَأَتَوْهُ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾**﴾ [آل عمران].

[**مجمع الزوائد ٦/ ١٧٦ كتاب المغازي والسير (١٠١١٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ٢٤٧ رقم ١١٦٣٢]، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة. السنن الكبرى للنسائي في التفسير ١٠/ ٥٥ رقم ١١٠١٧. وقال السيوطي في لباب النقول ص ٦١: إن سنده صحيح، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٢٨: أخرجه النسائي وابن مردويه، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس، ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. صحيح السيرة النبوية للعلي ٢٣٧، ٢٤٥**].

إلى حمراء الأسد:

«لقد كان للنجاح المفاجئ الذي حصل عليه الجيش المكي في معركة أُحُد، أَثر في زعزعة سلطان المسلمين وإضعاف هيبتهم في نفوس خصومهم المتربصين بهم داخل المدينة وخارجها، فقد أخذ البعض من هؤلاء يحدثون أنفسهم ويفكرون في القيام ضد المسلمين ببعض الاضطرابات والقلاقل، بل صار البعض منهم ـ وخاصة اليهود والمنافقين ـ يتفوهون مساء يوم المعركة مباشرة، بما أشعر

(١) حمراء الأسد موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة.

المسلمين بأن ما أصابهم في أُحد من نكسات قد أوهم هؤلاء الأعداء الألداء المتربصين بأن ما أصابهم في هذه المعركة قد أوهن من روحهم المعنوية وأَضعف من قوتهم العسكرية، وأنهم لذلك لم يعودوا قادرين كما كانوا على الاحتفاظ بسلطانهم وفرض هيبتهم على من يريد بهم سوءًا؛ ولهذا شعر قادة الجيش الإسلامي بأن هؤلاء الأعداء ـ سواء كانوا في الداخل أم الخارج ـ سيظلون على ظنهم ما لم يُثبت لهم المسلمون (عمليًّا) خطأ هذا الظن وفساده». [غزوة أُحد لباشميل٢١٥].

نصر مزيف:

«كذلك النصر الذي أحرزه جيش مكة في معركة أُحد، لم يعرف إلا النزر اليسير من سكان الجزيرة بأنه نصر مزيف لم يأت نتيجة بسالة الجيش المكي وبطولته، وإنما نتيجة غلطة شنيعة ارتكبها المسلمون أنفسهم في تنفيذ الخطة الحربية للمعركة، أعطت هذه الغلطة جند مكة نصرًا تعبويًّا أعادهم هذا النصر المفاجئ وهم يركضون في دروب الهزيمة إلى ساحة القتال؛ ليعودوا إلى مكة وهم في هيئة الجيش الظافر المنتصر، الذي لم يكن في حقيقته كذلك.

لهذا كان لابد من إقامة الدليل عمليًّا لسكان الجزيرة العربية أولًا بأن النصر الذي أحرزه جيش أبي سفيان في ملحمة أحد، لم يكن إلا نصرًا مزيفًا، وأن الجيش الذي أُشيع بأنه قد أحرزه عن بطولة، هو أضعف من أن يثبت للمسلمين في معركة جديدة، وأن قادة هذا الجيش ـ وعلى رأسهم أبو سفيان ـ لا يمكن أن يقبلوا التحدي ويوافقوا على خوض معركة جديدة ضد المسلمين في هذا الظرف بالذات، وإن هذا الجيش من الانهيار والخوف والهلع بحيث لا يقوى على الدخول في معركة حتى مع جيش أُحد الذي يقال إنه قد هزمه هناك وتغلب عليه، وذلك للحفاظ على انتصارهم العفوي الذي لم يكونوا يحلمون به.

كما أنه كان لابد للمسلمين في هذا الظرف الحرج من أن يثبتوا عمليًّا أيضًا لخصومهم من اليهود والمنافقين والأعراب، المجاورين للمدينة بأنهم مخطؤون في ظنهم بأنهم غُلبوا على أمرهم، وأن ما حدث للمسلمين في معركة أُحدُ لم يكن له أي أثر على معنوياتهم.

وإن لديهم من القوة ما يجعل كلمتهم كما كانت هي العليا ويمكنهم من سحق أية حركة يفكر أحد من هؤلاء الخصوم في القيام بها ضد المسلمين». [أُحد لباشميل٢١٥-٢١٦].

جيش المدينة يطارد جيش مكة:

«وكان لابد لتحقيق هذين الهدفين من عمل عسكري جريء سريع.

لذلك اتخذ القائد الأعلى للمسلمين ﷺ قرارًا في غاية في الجرأة والسرعة والإقدام، قرارًا قد يعتبره بعض العسكريين اليوم مغامرة عسكرية خطيرة أو عملًا انتحاريًّا خطيرًا.

فبالرغم من أن الجيش الإسلامي الذي خاض معركة أُحد لا تزال جراحه تنضح دمًا، فقد صدرت أوامر القائد الأعلى الرسول ﷺ بأن يتحرك وعلى جناح السرعة لمطاردة جيش مكة الذي يُقال إنه المنتصر.

ومتى صدرت هذه الأوامر إلى الجيش الإسلامي؟

لقد صدرت إليه الأوامر النبوية بعد مرور أقل من خمس عشرة ساعة على انتهاء المعركة الرهيبة التي خاضها هذا الجيش في أحد، والتي ناله فيها ما ناله من اندحار تعبوي.

وحرصًا من النبي القائد المحنك الحكيم ﷺ، على إظهار المسلمين أمام أعدائهم المتربصين بهم والظانين بهم ظن الضعف والانهيار بمظهر القوة والنجدة والتماسك والثبات، وعدم الاكتراث بما أصابهم في معركة أُحد، أمر ﷺ بأن لا يشترك في حملة مطاردة الجيش المكي إلا الجند الذين خاضوا معركة أحد فقط». [غزوة أُحد لباشميل٢١٧].

قال الواقدي: «قَالُوا: لـمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الصُّبْحَ يَوْمَ الأَحَدِ وَمَعَهُ وُجُوهُ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَكَانُوا بَاتُوا فِي المَسْجِدِ عَلَى بَابِهِ ـ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، وَعُبَيْدُ بْنُ أَوْسٍ فِي عِدَّةٍ مِنْهُمْ.

فَلـمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الصُّبْحِ أَمَرَ بِلالًا ﷺ أَنْ يُنَادِيَ: **إِنَّ رَسُولَ الله يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّكُمْ، وَلا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ القِتَالَ بِالأَمْسِ.**

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ رَاجِعًا إِلَى دَارِهِ يَأْمُرُ قَوْمَهُ بِالمَسِيرِ، قَالَ: وَالجِرَاحُ فِي النَّاسِ فَاشِيَةٌ، عَامَّةُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ جَرِيحٌ بَلْ كُلُّهَا، فَجَاءَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ، فَقَالَ: **إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا عَدُوَّكُمْ.**

قَالَ: يَقُولُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ﷺ، وَبِهِ سَبْعُ جِرَاحَاتٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدَاوِيَهَا: **سَمْعًا وَطَاعَةً لله وَلِرَسُولِهِ**، فَأَخَذَ سِلاحَهُ وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى دَوَاءِ جِرَاحِهِ، وَلَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ.

وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ قَوْمَهُ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَمَرَهُمْ بِالمَسِيرِ فَتَلَبَّسُوا وَلَحِقُوا.

وَجَاءَ أَبُو قَتَادَةَ ﷺ أَهْلَ خُرْبَى، وَهُمْ يُدَاوُونَ الجِرَاحَ فَقَالَ: هَذَا مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّكُمْ، فَوَثَبُوا إِلَى سِلاحِهِمْ وَمَا عَرَّجُوا عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ.

فَخَرَجَ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ أَرْبَعُونَ جَرِيحًا، بِالطُّفَيْلِ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، وَبِخِرَاشِ بْنِ الصِّمَّةِ ﷺ عَشْرُ جِرَاحَاتٍ، وَبِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ بَضْعَةَ عَشَرَ جُرْحًا، وَبِقُطْبَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ ﷺ تِسْعُ جِرَاحَاتٍ، حَتَّى وَافَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ إِلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ ـ الطَّرِيقُ الأُولَى يَوْمئِذٍ ـ عَلَيْهِمْ السِّلاحُ قَدْ صَفُّوا لِرَسُولِ الله ﷺ، فَلـمَّا نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ وَالجِرَاحُ فِيهِمْ فَاشِيَةٌ قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْ بَنِي سَلِمَةَ**».

قَالَ الوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ جَبِيرَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ سَهْلٍ، وَرَافِعَ ابْنَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجَعَا مِنْ أُحُدٍ وَبِهِمَا جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ، وَعَبْدُ الله أَثْقَلُهُمَا مِنْ الجِرَاحِ، فَلـمَّا أَصْبَحُوا

وَجَاءَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّهِمْ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: **وَالله إِنَّ تَرْكَنَا غَزْوَةً مَعَ رَسُولِ الله لَغَبْنٌ، وَالله مَا عِنْدَنَا دَابَّةٌ نَرْكَبُهَا، وَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ؟** قَالَ عَبْدُ الله: **انْطَلِقْ بِنَا**، قَالَ رَافِعٌ: **لا وَالله مَا بِيَ مَشْيٌ**، قَالَ أَخُوهُ: **انْطَلِقْ بِنَا، نَتَجَارَّ وَنَقْصِدْ**، فَخَرَجَا يَزْحَفَانِ فَضَعُفَ رَافِعٌ فَكَانَ عَبْدُ الله ﷺ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ عُقْبَةً (نوبة) وَيَمْشِي الآخَرُ عُقْبَةً، حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ عِنْدَ العِشَاءِ وَهُمْ يُوقِدُونَ النِّيرَانَ، فَأُتِيَ بِهِمَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ـ وَعَلَى حَرَسِهِ تِلكَ اللَّيْلَةَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ـ فَقَالَ: «**مَا حَبَسَكُمَا؟**» فَأَخْبَرَاهُ بِعِلَّتِهِمَا، فَدَعَا لَهُمَا بِخَيْرٍ، وَقَالَ: «**إِنْ طَالَتْ لَكُمْ مُدَّةٌ كَانَتْ لَكُمْ مَرَاكِبُ مِنْ خَيْلٍ وَبِغَالٍ وَإِبِلٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِخَيْرٍ لَكُمْ!**».

حَدَّثَنِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: هَذَانِ أَنَسٌ وَمُؤْنِسٌ وَهَذِهِ قِصَّتُهُمَا». [المغازي للواقدي ١/ ٣٣٤-٣٣٦، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠١].

استثناء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

«لم يسمح الرسول ﷺ لأحد من غير عسكر أُحُد بالاشتراك في حملة حمراء الأسد إلا لرجل واحد هو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، الذي قَدَّم التماسًا خاصًّا إلى القائد الأعلى الرسول ﷺ ليسمح له في هذه الحملة، وكان من الأسباب الوجيهة التي تذرع بها هذا الشاب ليسمح له الرسول ﷺ بالاشتراك في الحملة، هو أنه كان قد فاته شرف الاشتراك في معركة أحد مع حرصه الشديد على ذلك؛ لأن أباه عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ لم يسمح له بالاشتراك فيها وأمره بالبقاء في المدينة إلى جانب أخواته السبع اللاتي لم يبق بينهن رجل سواه». [غزوة أُحد لباشميل٢١٨].

قال الواقدي: «وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رضي الله عنهما: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ مُنَادِيًا نَادَى أَلَّا يَخْرُجَ مَعَنَا إِلَّا مَنْ حَضَرَ القِتَالَ بِالأَمْسِ، وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الخُرُوجِ وَلَكِنَّ أَبِي خَلَّفَنِي عَلَى أَخَوَاتٍ لِي وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لا يَنْبَغِي لِي وَلَكَ أَنْ نَدَعَهُنَّ وَلا رَجُلَ عِنْدَهُنَّ، وَأَخَافُ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ نُسَيَّاتٌ ضِعَافٌ، وَأَنَا خَارِجٌ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَعَلَّ الله يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ، فَاسْتَأْثَرَهُ الله عَلَيَّ بِالشَّهَادَةِ وَكُنْتُ رَجَوْتُهَا، فَأْذَنْ لِي يَا رَسُولَ الله أَنْ أَسِيرَ مَعَك**، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ.

قَالَ جَابِرٌ: فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ أَحَدٌ لَمْ يَشْهَدْ القِتَالَ بِالأَمْسِ غَيْرِي، وَاسْتَأْذَنَهُ رِجَالٌ لَمْ يَحْضُرُوا القِتَالَ فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٣٦، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠١].

الحملة تتحرك:

قال الواقدي: «وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مَجْرُوحٌ، فِي وَجْهِهِ أَثَرُ الحَلَقَتَيْنِ، وَمَشْجُوجٌ فِي جَبْهَتِهِ فِي أُصُولِ الشَّعَرِ وَرَبَاعِيَتُهُ قَدْ شَظِيَتْ، وَشَفَتُهُ قَدْ كُلِمَتْ مِنْ بَاطِنِهَا، وَهُوَ مُتَوَهِّنٌ مَنْكِبِهِ الأَيْمَنِ بِضَرْبَةِ ابْنِ قَمِيئَةٍ، وَرُكْبَتَاهُ مَجْحُوشَتَانِ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ وَالنَّاسُ قَدْ حُشِدُوا، وَنَزَلَ أَهْلُ

العَوَالِي حَيْثُ جَاءَهُمْ الصَّرِيخُ، ثُمَّ رَكَعَ رَسُولُ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ فَدَعَا بِفَرَسِهِ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، وَتَلَقَّاهُ طَلْحَةُ ﷺ وَقَدْ سَمِعَ المُنَادِيَ فَخَرَجَ يَنْظُرُ مَتَى يَسِيرُ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ الدِّرْعُ وَالمِغْفَرُ وَمَا يُرَى مِنْهُ إلا عَيْنَاهُ، فَقَالَ: «**يَا طَلْحَةُ، سِلاحَكَ**»، فَقُلْتُ: قَرِيبًا، قَالَ طَلْحَةُ: **فَأَخْرُجُ أَعْدُو فَأَلْبَسُ دِرْعِي، وَآخُذُ سَيْفِي، وَأَطْرَحُ دَرَقَتِي فِي صَدْرِي، وَإِنَّ بِي لَتِسْعَ جِرَاحَاتٍ وَلأَنَا أَهَمُّ بِجِرَاحِ رَسُولِ الله ﷺ مِنِّي بِجِرَاحِي، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى طَلْحَةَ، فَقَالَ: «تُرَى القَوْمَ الآنَ؟»**، قَالَ: **هُمْ بِالسَّيَّالَةِ**، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَلِكَ الذِي ظَنَنْتُ، أَمَا إِنَّهُمْ يَا طَلْحَةُ لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَ أَمْسَ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ مَكَّةَ عَلَيْنَا**». [المغازي للواقدي ١/ ٣٣٦-٣٣٧].

تحركت قوة المدينة المطاردة وغادرت المدينة بعد صلاة الفجر بقيادة النبي ﷺ، وهو أيضًا ممن أثخنتهم الجراح في معركة أُحُد، وقد استخلف الرسول ﷺ أميرًا على المدينة ابن أم مكتوم ﷺ.

ركب الرسول ﷺ فرسه المسمى بالسكب وقد تدجج بسلاحه وتقدم يقود الجيش في اتجاه الجنوب مسرعًا لمطاردة أبي سفيان.

وقد أعطى لواء هذه الحملة إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وهو اللواء الذي قاتل المسلمون في ظله يوم أحد، والذي بقي معقودًا لم يحل من ساريته حتى رجع المسلمون من هذه الحملة ظافرين.

وسارت هذه القوة مسرعة في طلب أبي سفيان حتى أدركها المساء في مكان يقال له (حمراء الأسد)، وكان دليل الجيش الإسلامي في هذه الحملة ثابت بن الضحاك، وقد عسكر الرسول ﷺ، بجيشه في حمراء الأسد». [غزوة أُحد لباشميل ٢١٩-٢٢١].

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران]، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا بْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لـمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ**»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ». [البخاري في المغازي (٤٠٧٧)].

قال ابن كثير: «وَهَذَا السِّيَاقُ غَرِيبٌ جِدًّا، فَإِنَّ المَشْهُورَ عِنْدَ أَصْحَابِ المَغَازِي أَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ كُلُّ مَنْ شَهِدَ أُحُدًا، وَكَانُوا سَبْعَمِائَةٍ، كَمَا تَقَدَّمَ.

قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَبَقِيَ الْبَاقُونَ». [السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٠١].

وقال الصالحي: «قلت: الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه لا تخالف بين قول عائشة ﵂، وما ذكره أصحاب المغازي؛ لأن معنى قولها: «فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ» أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون».

[سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي ٤/ ٤٤٧].

وعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ ﵂: «أَبَوَاكَ وَاللهِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ (هو ألم الجرح، ثم استعمل في الجرح)، تَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَالزُّبَيْرَ».

[مسلم في فضائل الصحابة ﵃ (٢٤١٨)].

استطلاعات النبي ﷺ:

قال الواقدي: «وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ طَلِيعَةً فِي آثَارِ القَوْمِ سَلِيطًا، وَنُعْمَانَ ابْنَيْ سُفْيَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ دَارِمٍ، مِنْ بَنِي سَهْمٍ، وَمَعَهُمَا ثَالِثٌ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي عُوَيْرٍ لَمْ يُسَمَّ لَنَا، فَأَبْطَأَ الثَّالِثُ عَنْهُمَا وَهُمَا يَجْمِزَانِ (يسرعان)، وَقَدْ انْقَطَعَ قِبَالُ نَعْلِ (الزمام الذي يكون بين الإصبع الوسطى والتي تليها) أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَكَ، قَالَ: لا وَاللهِ، لا أَفْعَلُ! فَضَرَبَ أَحَدُهُمَا بِرِجْلِهِ فِي صَدْرِهِ، فَوَقَعَ لِظَهْرِهِ وَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، وَلَحِقَ القَوْمُ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَهُمْ زَجِلٌ وَهُمْ يَأْتَمِرُونَ بِالرُّجُوعِ وَصَفْوَانُ يَنْهَاهُمْ عَنْ الرُّجُوعِ فَبَصُرُوا بِالرَّجُلَيْنِ فَعَطَفُوا عَلَيْهِمَا فَأَصَابُوهُمَا، فَانْتَهَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَصْرَعِهِمَا بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ فَعَسْكَرُوا، وَقَبَرُوهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: هَذَا قَبْرُهُمَا وَهُمَا القَرِينَانِ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٣٧-٣٣٨].

الجيش الإسلامي في حمراء الأسد:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَهِيَ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ﵁، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامَ بِهَا الِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءَ وَالأَرْبِعَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠١-١٠٢].

وقال الواقدي: «وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى عَسْكَرُوا بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ.

قَالَ جَابِرٌ ﵁: وَكَانَ عَامَّةُ زَادِنَا التَّمْرَ، وَحَمَلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﵁ ثَلاثِينَ جَمَلًا حَتَّى وَافَتْ الحَمْرَاءَ، وَسَاقَ جُزُرًا فَنَحَرُوا فِي يَوْمِ اثْنَيْنِ وَفِي يَوْمِ ثَلاثًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُهُمْ فِي النَّهَارِ بِجَمْعِ الحَطْبِ، فَإِذَا أَمْسَوْا أَمَرَنَا أَنْ نُوقِدَ النِّيرَانَ، فَيُوقِدُ كُلُّ رَجُلٍ نَارًا، فَلَقَدْ كُنَّا تِلْكَ اللَّيَالِيَ نُوقِدُ خَمْسَمِائَةِ نَارٍ حَتَّى تُرَى مِنْ المَكَانِ البَعِيدِ، وَذَهَبَ ذِكْرُ مُعَسْكَرِنَا، وَنِيرَانِنَا فِي كُلِّ وَجْهٍ حَتَّى كَانَ مِمَّا كَبَتَ اللهُ تَعَالَى عَدُوَّنَا».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨].

مقتل أبي عزة الجمحي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو عَزَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ: **يَا رَسُولَ الله، أَنْتَ أَعْرَفُ النَّاسِ بِفَاقَتِي وَعِيَالِي، وَإِنِّي ذُو بَنَاتٍ**، قَالَ: فَرَقَّ لَهُ وَمَنَّ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِلَا فِدَاءٍ، فَلَمَّا أَتَى مَكَّةَ هَجَا النَّبِيَّ ﷺ وَحَرَّضَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأُسِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، أُتِيَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**». [السنن الكبرى للبيهقي ـ كتاب قسم الفيء والغنيمة ٦/ ٥٢٠ رقم ١٢٨٣٩، وقال البيهقي: هذا إسنادٌ فيه ضعفٌ، وهو مشهورٌ عند أهل المغازي].

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: أَمَّنَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ أَبَا عَزَّةَ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْجُمَحِيَّ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِي خَمْسَ بَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ شَيْءٌ فَتَصَدَّقْ بِي عَلَيْهِنَّ**، فَفَعَلَ، وَقَالَ أَبُو عَزَّةَ: **أُعْطِيكَ مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أُكْثِرَ عَلَيْكَ أَبَدًا**، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ جَاءَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَنَا، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ مُحَمَّدًا مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ، فَضَمِنَ صَفْوَانُ أَنْ يَجْعَلَ بَنَاتِهِ مَعَ بَنَاتِهِ إِنْ قُتِلَ، وَإِنْ عَاشَ أَعْطَاهُ مَالًا كَثِيرًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُسِرَ وَلَمْ يُؤْسَرْ غَيْرُهُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أُخْرِجْتُ كَرْهًا وَلِي بَنَاتٌ فَامْنُنْ عَلَيَّ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ مَا أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ؟ لَا، وَالله لَا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ** (تثنية عارض، وهو صفحة الخد) **بِمَكَّةَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ**».

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، يَا عَاصِمُ بْنَ ثَابِتٍ قَدِّمْهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ**»، فَقَدَّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ. [السنن الكبرى للبيهقي كتاب السير ٩/ ١١١ رقم ١٨٠٢٩].

وذكر الواقدي في المغازي (تَسْمِيَةُ مَنْ قُتِلَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ): «عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ أَخَذَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَسِيرًا يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ يَأْخُذْ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَسِيرًا غَيْرَهُ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ، مُنَّ عَلَيَّ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُلدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى مَكَّةَ تَمْسَحْ عَارِضَيْكَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ!**»، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ فَضَرَبَ عُنُقَهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الله الوَاقِدِيُّ: وَسَمِعْنَا فِي أَسْرِهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا بُكَيْرُ بْنُ مِسْمَارٍ، قَالَ: لـمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ نَزَلُوا بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ سَاعَةً، ثُمَّ رَحَلُوا وَتَرَكُوا أَبَا عَزَّةَ نَائِمًا مَكَانَهُ حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَهُوَ مُسْتَنْبِهٌ يَتَلَدَّدُ (تلفت يمينًا وشمالًا)، وَكَانَ الذِي أَخَذَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَضَرَبَ عُنُقَهُ».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٠٨-٣٠٩، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٤].

قَتْلُ جاسوس قريش:

قال الواقدي: «وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي العَاصِ قَدْ انْهَزَمَ يَوْمئِذٍ، فَمَضَى عَلَى وَجْهِهِ، فَنَامَ قَرِيبًا مِنْ المَدِينَةِ، فَلـمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ المَدِينَةَ فَأَتَى مَنْزِلَ عُثْمَانَ بْنَ عفَّانَ ﷺ، فَضَرَبَ بَابَهُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ أُمُّ كُلثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ: لَيْسَ هُوَ هَاهُنَا، هُوَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَأَرْسِلِي إِلَيْهِ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي ثَمَنَ بَعِيرٍ اشْتَرَيْتُهُ عَامَ أَوَّلٍ فَجِئْتُهُ بِثَمَنِهِ وَإِلا ذَهَبْتُ، قَالَ: فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُثْمَانَ ﷺ فَجَاءَ، فَلـمَّا رَآهُ قَالَ: وَيْحَكَ، أَهْلَكْتَنِي وَأَهْلَكْتَ نَفْسَكَ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: يَا ابْنَ عَمٍّ، لَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْكَ وَلا أَحَقَّ، فَأَدْخَلَهُ عُثْمَانُ ﷺ فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ أَمَانًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ عُثْمَانُ ﷺ: «**إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَصْبَحَ بِالمَدِينَةِ فَاطْلُبُوهُ**»، فَطَلَبُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اطْلُبُوهُ فِي بَيْتِ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ، فَدَخَلُوا بَيْتَ عُثْمَانَ ﷺ، فَسَأَلُوا أُمَّ كُلثُومٍ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ حِمَارَةٍ (ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ويخالف بين أرجلها، وتعلق عليها الإداوة ليبرد الماء) لَهُمْ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعُثْمَانُ ﷺ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلـمَّا رَآهُ عُثْمَانُ ﷺ قَدْ أُتِيَ بِهِ قَالَ: **وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا جِئْتُكَ إلا أَنْ أَسْأَلَكَ أَنْ تُؤَمِّنَهُ فَهَبْهُ لِي يَا رَسُولَ الله!** فَوَهَبَهُ لَهُ وَأَمَّنَهُ وَأَجَّلَهُ ثَلاثًا، فَإِنْ وُجِدَ بَعْدَهُنَّ قُتِلَ، قَالَ: فَخَرَجَ عُثْمَانُ فَاشْتَرَى لَهُ بَعِيرًا وَجَهَّزَهُ، ثُمَّ قَالَ: ارْتَحِلْ، فَارْتَحَلَ.

وَسَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَخَرَجَ عُثْمَانُ ﷺ مَعَ الـمُسْلِمِينَ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَأَقَامَ مُعَاوِيَةُ حَتَّى كَانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ فَجَلَسَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَخَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِصُدُورِ العَقِيقِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَصْبَحَ قَرِيبًا فَاطْلُبُوهُ**»، فَخَرَجَ النَّاسُ فِي طَلَبِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهِ حَتَّى يُدْرِكُوهُ فِي يَوْمِ الرَّابِعِ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ أَسْرَعَا فِي طَلَبِهِ، فَأَدْرَكَاهُ بِالجَمَّاءِ، فَضَرَبَهُ زَيْدُ ابْنُ حَارِثَةَ، وَقَالَ عَمَّارٌ: إِنَّ لِي فِيهِ حَقًّا، فَرَمَاهُ عَمَّارٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ.

وَيُقَالُ: أُدْرِكَ بِثَنِيَّةِ الشَّرِيدِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنْ المَدِينَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، فَأَدْرَكَاهُ فَلَمْ يَزَالا يَرْمِيَانِهِ بِالنَّبْلِ وَاتَّخَذَاهُ غَرَضًا حَتَّى مَاتَ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٣٣-٣٣٤، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٥].

مؤتمر الروحاء:

«وكان أبو سفيان قد توقف بجيشه وعسكر به في الروحاء، وهو مكان لا يبعد كثيرًا عن حمراء الأسد، ويظهر أن بعض القادة في جيش مكة وجهوا اللوم إلى القائد العام أبي سفيان بن حرب لعدم هجومه على المدينة ساعة انسحابه من أحد، ومسارعته بالانسحاب من الميدان قبل أن يقضي على جيش المدينة ويستأصل شأفته، وطلبوا منه في إلحاح بأن يسارع بالعودة لمهاجمة المسلمين في المدينة، حتى إن بعضهم قال موجهًا اللوم لأبي سفيان: **لا مُحَمَّدًا قَتَلتُمْ، وَلا الكَوَاعِب أَرْدَفْتُمْ!** (يعني السبايا) **بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ، إِنَّكُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّرِيدُ تَرَكْتُمُوهُمْ، ارْجِعُوا فَاسْتَأْصِلُوهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَجِدُوا قُوَّةً وَشَوْكَةً، فَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ.** [السيرة الحلبية ٢/ ٣٤٩].

هذا الكلام وجهه البعض إلى أبي سفيان في المؤتمر الذي عقده قادة جيش مكة في فج الروحاء لمناقشة اقتراح بعض القادة الذين دعوا إلى أن يعود جيش مكة من الروحاء لمهاجمة المدينة.

وبالرغم من أن أكثر القادة في الجيش المكي كانوا يحبذون هذا الرأي فإن الزعيم صفوان بن أمية الجمحي قد خالفهم في هذا الرأي ونصحهم بأن يمضوا في انسحابهم وأن لا يفكروا في العودة بجيشهم لمقاتلة الجيش المدني؛ لأنه يخشى عليهم أن يصابوا بنكسة كبيرة». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٣].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَـمَّا انْصَرَفَ يَوْمَ أُحُدٍ، أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى المَدِينَةِ، لِيَسْتَأْصِلَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ: **لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَرِبُوا** (غضبوا)، **وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ لَـهُمْ قِتَالٌ غَيْرُ الَّذِي كَانَ، فَارْجِعُوا، فَرَجَعُوا.**

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِالرَّجْعَةِ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ** (أعلمت، أي جعلت لها علامة يُعرف بها أنها من عند الله تعالى) **لَـهُمْ حِجَارَةٌ، لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ.** [سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٤].

قال الواقدي: «وَكَانَ مِمَّا رَدَّ اللهُ تَعَالَى أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ كَلامُ صَفْوَانِ بْنِ أُمَيَّةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ مَعْبَدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: **يَا قَوْمِ، لا تَفْعَلُوا! فَإِنَّ القَوْمَ قَدْ حَزِنُوا وَأَخْشَى أَنْ يَجْمَعُوا عَلَيْكُمْ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْ الخَزْرَجِ، فَارْجِعُوا وَالدَّوْلَةُ لَكُمْ، فَإِنِّي لا آمَنُ إِنْ رَجَعْتُمْ أَنْ تَكُونَ الدَّوْلَةُ عَلَيْكُمْ.**

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرْشَدُهُمْ صَفْوَانُ، وَمَا كَانَ بِرَشِيدٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ الحِجَارَةُ وَلَوْ رَجَعُوا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ**»، فَانْصَرَفَ القَوْمُ سِرَاعًا خَائِفِينَ مِنْ الطَّلَبِ لَـهُمْ».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٣٩].

ويظهر أن القائد العام أبا سفيان كان يشاطر صفوان بن أمية رأيه، إلا أنه مال أخيرًا إلى رأي القادة الذين أصروا على العودة بالجيش لمهاجمة المسلمين في المدينة.

المفاجأة المذهلة:

«وبينما قادة الجيش المكي يتداولون الرأي في مؤتمرهم بالروحاء، إذا باستخباراتهم العسكرية تنقل إليهم خبر خروج الجيش المدني لمطاردتهم بقيادة النبي ﷺ، وأن هذا الجيش قد عسكر بالقرب منهم في حمراء الأسد في تحد سافر.

فأُسقط في أيديهم وخارت عزائمهم وامتلأت نفوسهم رعبًا من المسلمين، وتأكد لديهم أنهم أجبن من أن يخوضوا المعركة مع المسلمين في العراء، فضلًا عن أن يهاجموهم في المدينة.

فاستصوبوا رأي صفوان بن أمية.

وبدلًا من أن يرسموا الخطط لمهاجمة المسلمين كما تقرر في المؤتمر أخذوا يفكرون في الطريقة التي بها ينسحبون من الروحاء، مع محافظتهم على قيمة النصر الأسمى الذي حصلوا عليه في معركة أُحد، هذه

القيمة التي ستضيع في نظر سكان الجزيرة العربية إذا ما علموا أن جيش مكة قد نكل عن الحرب التي خرج ليخوضها معه جيش المدينة الذي عسكر في تحد على مقربة منهم.

فقد وقع في روع قادة الجيش المكي أن النبي ﷺ قد جاء من المدينة بمدد جديد لمقاتلتهم، فخافوا من المسلمين خوفًا شديدًا». [غزوة أُحد لباشميل٢٢٣-٢٢٤].

حليف مشرك يُخلص للمسلمين:

«وزاد أبا سفيان رُعبًا وفزعًا من المسلمين حرب أعصاب دعائية عنيفة شنَّها عليه وعلى جنده أحد حلفاء المسلمين من مشركي خزاعة وهو معبد بن أبي معبد الخزاعي.

فقد مر معبد هذا برسول الله ﷺ وهو معسكر بحمراء الأسد، فأبلغه استياء خزاعة لما أصاب المسلمين». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ مَرَّ بِهِ ـ كَمَا حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ مَعْبَدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيُّ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ، مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ (أي موضع سره وأمانته، كعَيْبَة الثياب التي يوضع فيها المتاع) نُصْحٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِتِهَامَةَ (اسم لكل ما نَزَل عن نجد من بلاد الحجاز، ومكة من تهامة) صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ (أي: اتفاقهم) لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّد، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ عَافَاكَ فِيهِمْ.**

وفي رواية: يَا مُحَمَّدُ، لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ أَعْلَى كَعْبَكَ (الكعب هنا الشرف)، **وَأَنَّ الْمُصِيبَةَ كَانَتْ بِغَيْرِكَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٢، المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨].

ثم غادر حمراء الأسد وقد أضمر القيام بعمل نبيل في صالح جيش حليفه محمد ﷺ.

وفعلًا، تعمد معبد أن يمر في طريقه بجيش أبي سفيان المعسكر في الروحاء.

ويحك ما تقول؟!:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: **أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَادَتَهُمْ، ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ، لَنَكُرَنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ.**

فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا، قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيهِمْ مِنْ الحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: وَيْحك مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى أَرَى نَوَاصِيَ الخَيْلِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتُ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِمْ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرٍ، قَالَ: وَمَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنْ الأَصْـوَاتِ رَاحِلَتِـي ... إِذْ سَـالَتْ الأَرْضُ بِـالجُرْدِ الأَبَابِيـلِ (١)
تَـرْدِي بِأُسْـدٍ كِـرَامٍ لا تَنَابِلَـةٍ ... عِنْـدَ اللِّقَـاءِ وَلا مِيـلٍ مَعَازِيـلِ (٢)
فَظَلْـتُ عَـدْوًا أَظُـنُّ الأَرْضَ مَائِلَـةً ... لَـمَّا سَـمَوْا بِـرَئِيسٍ غَـيْرِ مَخْـذُولِ (٣)
فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَـرْبٍ مِنْ لِقَائِهِمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَـتْ البَطْحَـاءُ بِالجِيـلِ (٤)
إِنِّي نَـذِيرٌ لِأَهْـلِ البَسْـلِ ضَـاحِيَةً ... لِكُـلِّ ذِي إِرْبَـةٍ مِـنْهُمْ وَمَعْقُـولِ (٥)
مِنْ جَـيْشِ أَحْمَـدَ لَا وَخَـشٍ تَنَابِلَـةٍ ... وَلَـيْسَ يُوصَـفُ مَـا أَنْـذَرْتُ بِالقِيـلِ (٦)

فَثَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٣، المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨-٣٣٩].

حراجة موقف جيش مكة:

«فكان لهذا العمل الدعائي المركز، الذي قام به معبد لمصلحة المسلمين أكبر الأثر في تهديم عزائم قادة الجيش المكي وإشاعة الذعر والفزع في نفوس الجيش القرشي، فقد أدخل هذا النبأ الذي نقله معبد الخزاعي في رَوع المشركين أن النبي ﷺ قد جاء بمدد جديد، وأنه لو لم يكن كذلك لما أقدم على هذه الحركة السريعة وبهذا التحدي السافر المكشوف.

ولهذا قرر قادة جيش المشركين مواصلة الانسحاب إلى مكة وتحاشي الاصطدام بالمسلمين في هذا الظرف، ولكن خروج المسلمين على هذا الشكل من التحدي أوقع قائد عام المشركين أبا سفيان في مركز حرج، فانسحابه إلى مكة وقد علم العرب بخروج النبي ﷺ لمطاردته يكشف لسكان الجزيرة أن أبا سفيان لم يكن حقًّا منتصرًا في معركة أُحد.

إذ أنه لو كان كذلك لما نكل عن الحرب وجبن عن ملاقاة جيش المسلمين الذي خرج في طلبه، وعسكر في تحد مكشوف على مقربة من جيش مكة الذي يظنه الناس قد انتصر وحطم الجيش الإسلامي في أُحد.

فكان منطق الأحداث ـ لا سيما في ذلك الظرف الذي ظهر فيه الجيش المكي أمام العرب بمظهر

(١) **تُهَدُّ**: تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته. **الجُرْد**: الخيل العتاق. **الأَبَابِيل**: الجماعات.
(٢) تَرْدِي في الواقدي: تَعْدُو. **التَّنَابِلَة**: القصار. **الميل**: جمع أميل وهو الذي لا رمح معه، وقيل: هو الذي لا ترس معه، وقيل: هو الذي لا يثبت على السرج. **المعازيل**: جمع مِعزال، وهم الذين لا سلاح معهم.
(٣) **العَدْو**: المشي السريع. **سَمَوْا**: علوا وارتفعوا.
(٤) **تَغَطْمَطَتْ**: اهتزت وارتجت. **البطحاء**: السهل من الأرض. **الجِيل**: الصنف من الناس.
(٥) **البَسْل**: الحَرام، وأراد بأهله قريشًا لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. **الضاحية**: البارزة للشمس. **الإربة**: هي هنا العقل.
(٦) **الوَخْش**: رُذالة الناس وأخساؤهم. **القِيل**: والقول واحد، وقال بعضهم: القول: المصدر، والقيل: الاسم.

الغالب المنتصر ـ يقضي على أبي سفيان أن يخوض المعركة من جديد ضد جيش محمد ﷺ الذي خرج يطلب حربه في عزم وتصميم.

وهذا أقل ما يفرض منطق الأحداث في ذلك الظرف على أبي سفيان أن يفعله؛ لأن الواعين من الخبراء المحاربين قد تساءلوا في استغراب: كيف لم يهاجم أبو سفيان المدينة عند انسحابه من أُحد بجيشه المنتصر، مع أن المدينة كانت مفتوحة تمامًا وليس بها من حَملة السلاح القادرين على القتال من المسلمين أَحد؟

فكيف بهؤلاء إذن إذا علموا أن أبا سفيان قد نكل عن الحرب وفر أمام الجيش الإسلامي الذي زعم للعرب وطيَّر الأخبار بينهم بأنه قد حطمه وأخضد شوكته وانتصر عليه؟». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٥].

أبو سفيان ينحني للعاصفة:

«وهكذا كان منطق الأحداث يقضي على أبي سفيان أن يقبل التحدي ويخوض المعركة من جديد مع الجيش المدني، الذي خرج دون تردد ولا إبطاء يطلبه ويتحداه أن يخوض الحرب ضده.

ولكن أبا سفيان كقائد محارب خبير كان يعرف أكثر من غيره أن الانتصار التعبوي لجيشه في معركة أحد ـ إن جاز تسميته انتصارًا ـ إنما جاء نتيجة غلطة، والغلطات لا تتكرر.

وكان لذلك يهاب ملاقاة المسلمين وخاصة في ذلك الظرف؛ لأنه يخشى إن اصطدم معهم في الروحاء أو حمراء الأسد أن ينزلوا بجيشه هزيمة لا تنجيه منها غلطة مثل غلطة الرماة التي سحبت رؤوس جنده يوم أحد من تحت مطارق هزيمة كادت تكون ساحقة، فيضيع عليه النصر الذي حصل عليه بسبب غلطة الرماة غفر الله لهم.

ولا شك أن أبا سفيان كان لديه ما يشبه اليقين بأن جيش مكة لو اصطدم ضد الجيش النبوي المطارِد الحانق المغيظ المتوثب سيكون نصيبه من هذا الاصطدام هزيمة أفظع وأشد أثرًا من هزيمته في معركة بدر الشهيرة.

لذلك قرر بالاتفاق مع زعماء الجيش المكي النكول عن الحرب وتحاشي الاصطدام ضد الجيش النبوي المطارد». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٧-٢٢٨].

مناورة أبي سفيان لتغطية انسحابه:

«ولكن أبا سفيان قبل تنفيذ هذا الانسحاب لجأ إلى حيلة لعله يستر بها فضيحة ما اعتزم عليه من الفرار، أمام الجيش النبوي الذي خرج لمطاردته.

فقرر أن يقوم بمناورة لإرهاب الجيش المدني بإيهامه بأنه عازم على مهاجمته وإبادته في حمراء الأسد؛ لعله أن يخاف ويعود أدراجه إلى المدينة، قبل أن يتحرك الجيش المكي من مكانه بالروحاء في اتجاه مكة، وبذا يُفهِم أبو سفيان العرب الذين علموا في ذهول واستغراب خروج المسلمين لمطاردة جيش مكة

الذي شاع أنه هَزم الجيش الإسلامي وحطمه في معركة أُحد أنه ـ أي: أبا سفيان ـ قد أرهب الجيش النبوي وأجبره على الارتداد إلى المدينة، وبهذا تبقى للجيش المكي صبغة الجيش المنتصر».

[غزوة أُحد لباشميل٢٢٨].

رسالة التهديد:

وَمَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المَدِينَةَ؟ قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المِيرَةَ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأُحَمِّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيبًا بِعُكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ [وَأَنَّا آثَارَكُمْ]**، فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**».

وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾**﴾[آل عمران]». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٣، المغازي للواقدي ١/ ٣٣٩-٣٤٠].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ﴿**حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾**﴾.

[البخاري في تفسير القرآن (٤٥٦٣)].

لقد أبلغ ركب عبد القيس رسالة أبي سفيان التهديدية إلى النبي ﷺ، ولكن الرسول ﷺ تجاهل هذا التهديد، فلم يتضعضع عزمه بل ظل مكانه في حمراء الأسد معسكرًا بجيشه ثلاثة أيام يوقد النيران طيلة لياليها؛ ليدل قريشًا في تحد على مكانه وأنه على عزمه مستعد لخوض المعركة الفاصلة ضدهم.

ولما لم تفد هذه المناورة القرشية في زعزعة عزائم المسلمين، وتأكد لدى أبي سفيان ثبات الجيش الإسلامي وإصراره على اللقاء، انحنى للعاصفة ـ كما يقولون ـ وولى الأدبار، مفضلًا عار الانسحاب ـ أمام تحدي المسلمين ـ على الدخول بجيشه في مغامرة عسكرية قد تكون سببًا في القضاء على سُمعة قريش إلى الأبد، فتراجع إلى مكة، بينما كان النبي ﷺ لا يزال معسكرًا بجيشه في حمراء الأسد.

انسحب أبو سفيان بالجيش المكي هاربًا به من الروحاء، بالرغم من أن هذا الجيش يبلغ عدده أكثر من أربعة أضعاف الجيش الإسلامي الذي خرج لمطاردته من المدينة». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٨-٢٢٩].

عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة:

«وبعد انسحاب أبي سفيان بعسكره من الروحاء إلى مكة، عاد النبي ﷺ بجيشه الباسل إلى المدينة مرفوع الرأس وقد سجل بهذه الحركة العسكرية الجريئة السريعة نصرًا سياسيًّا وعسكريًّا باهرًا.

فقد كانت حملة حمراء الأسد الناجحة هذه سببًا في استعادة هيبة المسلمين ومكانتهم في النفوس، حيث أثبتوا بهذه الحملة الجريئة للمتربصين ـ من المنافقين واليهود والأعراب ـ فساد ظنهم وخطأ تفكيرهم، وأن المسلمين أعظم وأشد وأقوى مما كانوا يظنون.

كما أثبت الرسول القائد العظيم ﷺ، بهذه الحركة السريعة للعرب أجمعين أن أبا سفيان لم يكن منتصرًا انتصارًا حقيقيًّا في معركة أُحد، وأن نصره لم يكن إلا نصرًا مزيفًا، جاء نتيجة غلطة فحسب.

وقد أقر كبار القادة العسكريين ـ في السابق والحاضر ـ بأن حركة المطاردة التي قام بها النبي ﷺ إلى حمراء الأسد، كانت مناورة عسكرية رائعة، حيث حفظ بها النبي ﷺ سُمعة جيشه واستعاد بها هيبتهم ومكانتهم التي كادوا يفقدونها على أثر ما أصابهم في معركة أُحُد». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٩].

فضح نفاق ابن أُبَيٍّ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدِينَةَ، وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ ـ كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ ـ لَهُ مَقَامٌ يَقُومُهُ كُلَّ جُمُعَةٍ لَا يُنْكَرُ شَرَفًا لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ [لَا يُرِيدُ تَرْكَهُ]، وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا، إِذَا جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَامَ فَقَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ أَكْرَمَكُمْ اللهُ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ، فَانْصُرُوهُ، وَعَزِّرُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**، ثُمَّ يَجْلِسُ، حَتَّى إِذَا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا صَنَعَ وَرَجَعَ بِالنَّاسِ، قَامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ، فَأَخَذَ المسْلِمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ، وَقَالُوا: اجْلِسْ أَيْ عَدُوَّ الله لَسْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ، وَقَدْ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ، [وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو أَيُّوبَ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَكَانَا أَشَدَّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ مِمَّنْ حَضَرَ وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُّوبَ يَأْخُذُ بِلِحْيَتِهِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ يَدْفَعُ فِي رَقَبَتِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: **لَسْتَ لِهَذَا المَقَامِ بِأَهْلٍ**، فَخَرَجَ بَعْدَ مَا أَرْسَلَاهُ] يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ: **وَالله لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بَجْرًا** [هُجْرًا] (أي قبيحًا من الكلام) **أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ**، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ [مُعَوِّذ بن عَفْرَاء ﷺ] بِبَابِ المسْجِدِ فَقَالَ: **مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ**، قَالَ: **قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ، فَوَثَبَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ** [مِنْ قَوْمِي] **يَجْذِبُونَنِي وَيُعَنِّفُونَنِي** [كَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيَّ عُبَادَةُ وَخَالِدُ بْنُ زَيْدٍ (أَبُو أَيُّوبَ)]، **لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بَجْرًا أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ**، قَالَ: **وَيْلَكَ، ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ**، قَالَ: **وَالله مَا أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي.**

قَالَ: وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ (عبد الله بن عبد الله ﷺ) جَالِسٌ فِي النَّاسِ مَا يَشُدُّ الطَّرْفَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: **أَخَرَجَنِي مُحَمَّدٌ مِنْ مِرْبَدِ سَهْلٍ وَسُهَيْلٍ.** (لم يقل: من المسجد؛ لأنه لا يعترف بالمسجد ويتمنى زواله ليعود مكانه مربدًا كما كان).

فنزلت هذه الآية: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥**﴾[المنافقون]. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٥، المغازي للواقدي ١/ ٣١٨].

خرائط غزوة حمراء الأسد

(١)

أطلس السيرة النبوية لأبي خليل ص ١٢٣.

(٢)

غزوة حمراء الأسد في السادس عشرة من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة المباركة

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ص ١٦٨.